أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
EISSN 2800-1435 ISSN 2773-2940 المجلد 04 العدد 01 (مارس، 2022) ص47 إلى 64

جمالية الانزياح التركيبي في هائية الشاعر عبد الله بن رضوان المالقي

The Aesthetics of Structural Displacement in Abdullah bin Radwan Al-Malqi's piece of poetry

ط.د. فطيمة الزهرة قيدوم* _ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة
جامعة باتنة1، guidoumfatima57@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ القبول
2022/01/02م	2022/03/10م	2022/03/10م

ملخص

تقوم هذه الدراسة على استقصاء أبعاد البنية التركيبية للخطاب، وكيفية انتظامها بطريقة مخصوصة، ومن ثمة دراسة أي عوارض أو تحولات تطرأ على التركيب الأصلي أو تغيير في كيفية ترتيب أركان الجملة، بما يولّد نماذج تركيبية جديدة مشتقة، تخلق إثر حدوث انزياح أو عدول في البنية التركيبية الأصلية للخطاب، حيث يساهم الانزياح التركيبي في بعث قيم جمالية فنية داخل لغة وتراكيب القصيدة. وقد قامت مولدية ابن رضوان، في مجملها على كسر نظام الرتبة وتجاوز التراكيب النمطية العميقة لمحور الترتيب والنظم، من خلال التقديم والتأخير في رتبة البنيات المشكّلة لنظام الجمل الفعلية منها والاسمية على مستوى البنية السطحية لمحور الاستبدال والاختيار.

الكلمات المفتاحية: الجمالية؛ الانزياح التركيبي؛ البنية السطحية؛ البنية العميقة؛ الرتبة.

Abstract

The current study aims at investigating the dimensions of the structure of the discourse, its standard collocation, and then studying any transformations that occur in the original structure; or a change in the way structures of the sentence are arranged. These can generate new derived structural models, following a shift or alteration in the original structure of the discourse. Hence, synthetic displacement contributes to the creation of artistic aesthetic values within the language and structures of the poem. The Mawlidiyah of Ibn Radwan, in its entirety, was based on breaking the rank system and transcending the deep stereotypical structures of the order and systems' axis, through advancing and delaying structures' rank formed by the system of sentences, phrases at the level of the surface structure of the substitution and selection axis.

Keywords: aesthetic; structural shift; surface structure; deep structure; rank

* المؤلف المرسل

1.مقدمة

إنّ دراسة التركيب اللّغوي لأيّ لغة من اللغات يعني البحث في مختلف البنيات التي تُشّكلُها وتُؤلّفها وتساهم في خلق نماذج لغوية، ومن ثمة استجلاء مختلف العلاقات التي تحكم ترابط أجزائها وعناصرها، والتي تلعب دورًا بارزا في تكوينها وصنع دلالتها، ولذلك كانت –ولازالت- دراسة التراكيب اللّغوية مناط عناية واهتمام الباحثين واللّغويين، باعتبار التركيب من المستويات الأساسية التي يقوم عليها التحليل اللساني الحديث للّغة، وذلك بالاستناد إلى مختلف المقولات النحوية التي تواضع عليها أئمّة اللغة والتي تتحكم في توزيع رتبها وتنظيم بنيتها، وبالتالي التعرّض لمختلف التحوّلات والتغيرّات التي قد تطرأ على نسيجها، وتُحدث تغييرا في كنه دلالتها، وبالتالي الوقوف على أهم الأبعاد الجمالية التي تنبني عليها تراكيب الخطاب وتشكّل معانيه، ورصد وتحليل مختلف العلائق اللغوية التي قامت عليها شعريته وميّزت أسلوب لغته.

إذ تزخر مولدية "عبد الله بن رضوان"، بالعديد من التراكيب اللغوية المشبّعة بقيم الشعرية التي تستحق البحث والدّرس، لما طُبعت به من مظاهر الانزياح اللغوي في معظمها، ممّا جعل من لغة الخطاب أكثر حيوية وطلاوة تسمو عن اللغة التقريرية المعجمية الخاضعة للرتابة الأسلوبية، بفعل كثرة التداول وخضوعها لعرف التقعيد الوضعي النمطي.

وتتوقف هذه الدراسة على البحث في الأبعاد الجمالية للتراكيب الأسلوبية والبنيات اللغوية التي قامت عليها قصيدة "ابن رضوان المالقي"، التي تعود جذورها التاريخية إلى زمن ملوك الطوائف، وعصر الدولة المرينية التي كانت حاضرة فكرية وثقافية مشّعة استقطبت العلماء والأدباء، بعد نكبة الأندلس ومزاحمة الكيان

الصليبي لمعاقل المسلمين بها ومنهم ابن رضوان الذي نظم مولديته في ظلّ إمارة السلطان عبد العزيز المريني، متوجها بالمدح له.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كون الدراسات النصّانية من أبرز مجالات البحث اللساني التي تحظى بكبير اهتمام في الممارسات النقدية الحديثة باعتبارها تسعى إلى محاورة الأثر الأدبي، وتشريح وتفكيك بنياته التركيبية وفكّ شفراته اللغوية، ومن ثمّة استجلاء ما يكتنزه من قيم فنيّة جمالية، وما يتميّز به من خصائص أسلوبية بنيوية.

واعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج الأسلوبي بالاستناد إلى المنهج الوصفي التحليلي، فكان الأنسب للوقوف على أبعاد البنية اللغوية وخصائصها الأسلوبية وبيان جمالية اللغة الشعرية، وما تضفيه من قيم فنية على تراكيب الخطاب.

وتسعى هذه الدراسة للإجابة على الاشكالية التالية: ماهي أنماط التراكيب اللغوية التي قامت عليها شعرية القصيدة وشكّلت لغتها؟ وماهي أبرز الخصائص والآليات التي ميزت بنيتها؟ وفيم تكمن جماليتها؟

2. مفهوم الجمالية

يُعدُّ مصطلح الجمالية من المصطلحات التي تحظى باهتمام كبير لدى النقاد والباحثين، وذلك نظرا لزئبقية هذا المصطلح وتشعب مجالات استعماله سواء من الناحية الفلسفية أو الأدبية أو الفنية، ويعرفها الباحث محمد عبد الحفيظ، بأنها «نظرية تستهدف أن يكون الجمال الشكلي هو الغرض الوحيد للعمل الفني والقيمة الجمالية هي التي تهم، وأن هذه النظرية تتطلب معنى هو أن الجمال في

العمل الفني هو مسألة تعبير كامل ووحدة مطلقة للشكل والمحتوى» (عبد الحفيظ محمد، (2001)، صفحة 06)؛ فهي نظرية تسعى إلى دراسة الجوانب الجمالية المميزة للعمل الأدبي، والتي تحصل إثر توافق الشكل بالمعنى.

«والجمالية منهج عام أو رؤية إبداعية ونقدية تتحرك في إطارها جميع المناحي النقدية، من شكلانية وبنيوية وأسلوبية سواء في العالم العربي أو الغربي» (كريب رمضان، (2009)، صفحة 65)؛ يركز الباحث على كون الجمالية آلية منهجية تحليلية تشترك فيها جميع المناهج النقدية النسقية التي تسعى إلى التعمق في فهم جوهر الخطاب، «والجمالية في مجال الأدب ترتكز على الشكل وتهتم بالبناء والنسيج الفني في العمل الأدبي، وفلسفتها في ذلك أن الدراسة الخارجية للنص لا يمكن لها سبر أغواره، والكشف عن جمال الإبداع فيه، فهو مجموعة من العناصر المتباينة لا يستطيع المنهج السياقي كالمنهج الاجتماعي أن ينفذ إلى لبّ العمل الفني، ومن ثم فالجمالية هي وحدها القادرة على النفاذ إلى عمقه» (مرتاض محمد، (1998)، صفحة 28)؛ فيتبين أن الجمالية رؤية نقدية تسعى إلى دراسة النصوص الأدبية من حيث بناؤها وتركيبها وتشكيلها، وبيان قيمتها الفنية وأوجه التميز والابداع فيها من خلال التعمق في دراسة هندستها اللغوية.

3.التركيب الفعلي

يُعدُّ التركيب الفعلي من أبرز أنواع التراكيب اللغوية التي يمكن من خلالها الوقوف على أبعاد البنية اللغوية داخل الخطابات الأدبية. ويعرّف النحاة واللغويون العرب التركيب الفعلي بأنّه: «الجملة المصدرة بفعل، وهي المكونة من فعل وفاعل وهي التي يكون المسند فيها فعلا» (أبو المكارم علي، (د.ت)، صفحة 29،

30)؛ يشير هذا المفهوم إلى أن التركيب الفعلي هو الذي يتكون من فعل(مسند)، وفاعل (مسند إليه)، وهذه هي الصورة النمطية لترتيب الجملة الفعلية.

غير أنّ ما شدّ انتباهنا في مولدية عبد الله ابن رضوان، كظاهرة أسلوبية تستحق الدرس والبحث، هو كثرة الانزياحات الأسلوبية على مستوى التركيب الفعلي للقصيدة، وكان التقديم والتأخير أبرز قوالبه، حيث اتخذ الشاعر من هذا الخرق والانحراف أداة لكسر الرتابة والنمطية، وخلق لغة فنية تنزح عن اللغة الخطابية العادية الخالية من الجمالية والشاعرية، وفي الوقت ذاته تسخير هذا الانزياح لخدمة العديد من الأغراض البلاغية وتحقيق الضرورات الشعرية العروضية. ومن أشكال الانزياح التركيبي في القصيدة، ما يلي:

1.3. تقديم الجارالمجرورعلى الفاعل:

ما يلاحظ على القصيدة هو كثرة الانزياحات على مستوى ترتيب عناصر الجملة الفعلية، من حيث التقديم والتأخير ولا سيما رتبة الفاعل، إذ تقدّمه الجار والمجرور في الكثير من التراكيب من ذلك مثلا قول الشاعر(ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 242) [الكامل]:

هي لَيْـلَة فَـاقَ اللَّيَـالِي فَضْـلُهَـا وتَشَـرَّفَـتبِـزَمَـانِهَـا أَيَّـامُـهَا

يتقدم الجار والمجرور (بزمانها) في هذا الخطاب إلى رتبة الفاعل (أيّامها) الذي الأصل فيه أن يلي الفعل اللازم (تشرّفت) الذي جاء في الزمن الماضي فالتركيب النحوي السليم على مستوى بنية العمق أصله أن يكون: "تشرفت الأيامُ بزمانها". ووظّف الشاعر حرف الجرّ (الباء) الذي تضمّن معنى الظرفية الزمانية، للدلالة على شرف ليلة ميلاد الرسول (ص) المباركة ومنزلتها الجليلة والتي دلّ من خلالها على تفضيل زمانها على سائر الأيام، فأفاد تقديم الجار والمجرور في إظهار

العناية والاهتمام بزمان ليلة مولده (ص)، كما ساهم تأخير الفاعل على مستوى محور الادراج والاختيار في الحفاظ على وحدة الوزن والقافية.

2.3. تقديم المفعول به على الفاعل:

وذلك نحو قول الشاعر(ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 238) [الكامل]:

اِسْـتَـوْحَـشَـتْ أَرْجَـاؤُهَـا، وَتَجَـاوَبَتْ أَصْـدَاؤُهَـا،وَدَعَـا الهَـدِيلَ حَمَـامُهَـا

ينقل الشاعر من خلال هذا التركيب الانزياحي ما آلت إليه ديار محبوبته الظاعنة، حيث أخّر بنية الفاعل (حمامها)، عن رتبتها التي الأصل فيها أن تلي الفعل الماضي المتعدي (دعا)، الذي جاء ثلاثيا ناقصا معتل الآخر مباشرة وأحلّ موضعها المفعول به (الهديل) على مستوى محور الاستبدال والاختيار. فأصل البناء على مستوى محور التوزيع : "دَعَا الحمامُ الهديلَ"، غير أنه أقل جمالية من التركيب السطحي الذي نجده في قول الشاعر، والذي أراد من خلاله وصف ديار محبوبته وكيف باتت موحشة تتعالى فيها الأصداء، ويسكنها الحمام ويحاور فيها بعضه بعد أن رحلت عنها. كما أفاد من هذا الانحراف اللغوي في الحفاظ على وحدة الوزن والقافية.

3.3. تقديم الجار والمجرور على الفعل:

الأصل في تركيب الجملة الفعلية أن تتصدّر دائما بفعل، وأيّ تغيير في رتبتها يسمّى عدولا وخروجا عن القاعدة النحوية المتواضع عليها، إذ نجد الشاعر قصد إلى تقديم الجار والمجرور على الفعل في قوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 238) [الكامل]:

يَـا صَـاحِبَـيَّ عَـنِ الرَّكَـائِبِ حَدِّثَـا فَـزِمَـامُـهَـا مَـا تَعْلَمَـانِ ذِمَـامُـهَـا

يقوم هذا التركيب اللّغوي على تقديم الجار والمجرور (عن الرّكائب)، على الفعل (حدّثا)، الذي حمل معنى الطلب في صيغة الأمر الموجّه إلى صاحبيّ الشاعر، فأصل التركيب في بنية العمق على مستوى محور الترتيب والتوزيع: "يا صاحبيّ حدّثا عن الركائب". وقد عمد إلى توظيف حرف الجرّ (عن) الذي أفاد تخصيص الظرفية المكانية، للدلالة على تخصيص طلبه المقدّم الذي يسعى من ورائه إلى استطلاع أخبار ظعائن محبوبته الراحلة.

4. التركيب الاسمي

المركب الاسمي هو ما يعرف بالجملة الاسمية، والتي يعرفها الباحث علي جابر المنصوري، بقوله: «هي الجملة التي لا يكون فيها المسند فعلا وهي التي تبدأ باسم، ولا تشتمل معنى الزمن، ولا تشير إلى حدث إلاّ إذا دخلت عليها الأفعال الناسخة» (المنصوري علي جابر، 2002، صفحة، 29)؛ فهو يركز على كونها غير مرتبطة بالزمن وأنها الجملة التي يكون المسند فيها اسم. فالمركب الإسمي هو الذي يبتدأ باسم يسمّى مبتدأ (مسند)، ويلحقه الخبر ويسمّى مسند إليه وهذا هو التركيب الأصلي الذي أقرّته المقولات النحوية وتواضع عليه أئمة النحو. إلا أنه يحدث أن تطرأ عوارض على هذا التركيب ممّا يؤدي إلى حدوث تغير في البنى الأسلوبية العميقة، في شكل انزياحات لغوية تتمثل في حذف بعض العناصر المكّونة للجملة، أو تقديم وتأخير بعض الرتب النحوية. وهذا الأخير يشكّل أبرز أشكال الانزياح في قصيدة ابن رضوان، والذي نلمسه بشكل ملحوظ بين ثنايا أبياتها ضمن عدّة صيغ كالآتي:

1.4. تقديم الخبر على المبتدأ:

أشار اللغويون إلى أن كلّ من المبتدأ والخبر يندرجان ضمن نطاق الرتبة غير المحفوظة أيّ أنهما قابلان للتقديم والتأخير، ممّا ينتج عن ذلك عدولا على مستوى بنية الجملة الاسمية دون أن يختل التركيب، حيث يقول تمام حسان: «ولا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يسمى في النحو باسم الرتبة المحفوظة لأن هذه الرتبة المحفوظة لو اختلت لاختل التركيب باختلالها(...)، ومن الرتب غير المحفوظة في النحو رتبة المبتدأ والخبر» (حسان تمام، 1994، صفحة 209).

وقد عمد الشاعر إلى تقديم الخبر على المبتدأ، في قوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 237)[الكامل]:

وَمِنَ الْمُؤَمَّلِ غَيْرُ طَيفِ خَيَالِهَا لَوْ كَانَ يَحْظَى بَالْجُفُونِ مَنَامُهَا

يؤسس الشاعر تركيبه في هذا الخطاب على تقديم الخبر (من المؤمّل) وتأخير المبتدأ (غيرُ)، الذي الأصل فيه أن يتصدّر المركّب الإسمي، وذلك لأن هذا الأخير ورد نكرة والخبر شبه جملة من جار ومجرور وبالتالي وجب تقديمه. وقد أراد الشاعر من تقديم الخبر، إظهار حرصه وعنايته بأمنيته في لقاء محبوبته التي نأت عنه، فعبّر من خلاله عن صوت الحزن الذي يختلج كيانه ويأسر قلبه جرّاء شدّة وجده وشوقه إليها، فيأمل ويتمنّى لو كان يحظى برؤية خيالها في ديارها المهجورة، أو حتّى صورة طيفها في منامه.

2.4. تقديم خبر الناسخ على اسمه:

النواسخ هي جملة من الأفعال الناقصة أو المشبّهة بالفعل، تدخل على الجملة الاسمية فتحدث فيها تغييرا على مستوى نظامها التركيبي ومنه نجد أنّ التركيب الأصلي للجملة المنسوخة يتكون من: (الناسخ + اسمه + خبره). والملاحظ على

تراكيب القصيدة أنها تضمّنت خرقا لهذه القاعدة فنجد خبر الناسخ قد تقدّم على اسمه في عدّة مواضع، كقوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 237) [الكامل]:

وَمِـنَ المُـؤَمَّـلِ غَـيْرُ طَـيْـفِ خَـيَالِهَا لَـوْ كَـانَ يَحْـظَى بَالجُـفُـونِ مَنَـامُـهَـا

نجد في البنية السطحية لعجز البيت انزياحا تركيبيا على مستوى محور الادراج والاختيار، والذي قام فيه الشاعر بتقديم خبر الناسخ (كان)، الذي جاء جملة فعلية (يحظى)، مركبة من فعل مضارع وفاعل في صيغة ضمير مستتر للدلالة على الغائب (هو)، وتأخير اسمه (منامُها). وأصل التركيب على مستوى بنية العمق: "لو كان المنام يحظى بالجفون". فقد قصد إلى تأخير اسم كان (المنامُ) لغرض تشويق السامع وإثارة انتباهه لسماع أمنيته، التي أسرت فؤاده واسترعت مشاعره، وهذا ما أفاده من توظيفه لحرف التمني (لو). كما أفاد هذا التأخير في تحقيق الوزن ومراعاة وحدة القافية وتوافقها مع القوافي التي قبلها.

3.4. تقديم الجارالمجرورعلى الخبر:

ونجد هذا النمط من الانزياح، في قوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 243) [الكامل]:

هُـوَ لِلْـغُـوَاةِ شَتَـاتُـهَـا، هُـوَ لِلْعُـفَـا... ةِ حَيَـاتُـهَـا، هُـوَ لِلْـعُـدَاةِ سِهَـامُـهَـا

عمد الشاعر في هذا التركيب إلى تقديم الجار والمجرور (للغواة، للعفاة، للعداة)، وفصل المبتدأ الذي جاء في صيغة ضمير منفصل للدلالة على الغائب (هو)، عن خبره (شتاتُها حياتُها، سهامُها) في التركيب السطحي للخطاب على مستوى محور الادراج، فأصل التركيب في بنية العمق أن يكون كالآتي: " هو شتاة

الغواة، هو حياةُ العفاة، هو سهامُ العداة". فأفاد الشاعر من خلال تقديم الجار والمجرور على الخبر، التأكيد على قوّة وسلطان ممدوحه وقدرته على مجابهة الأعداء الغواة وقهرهم، إذ دلّ استخدامه لحرف الجرّ (اللام) على الاستعانة والسببية فقد كان الخليفة عبد العزيز المريني، سببا في انتصارهم على الأعداء وعونا لهم.

نجد أن هذا النمط الانزياحي لم يحصل إلا على مستوى قليل مقارنة بباقي الأنماط التركيبية الأخرى، والذي أفاد منه الشاعر في إثبات الأمر المخبر عنه وتحقيقه.

5. التركيب المتوازي

يُعدُّ التركيب المتوازي من أبرز أنواع التراكيب اللغوية التي تسمح بتتبع بنية الأنساق الخطابية والتوصل إلى العلائق التي تحكم نظام تركيبها. والتوازي كما يعرفه الباحث عبد الواحد حسن الشيخ، «هو عبارة عن تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات أو العبارات، القائمة على الازدواج الفني، وترتبط ببعضها وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازية، سواء في الشعر أو النثر، ويوجد بشكل واضح في الشعر فينشأ بين مقطع شعري وآخر، أو بيت شعري وآخر» (حسن الشيخ عبد الواحد، 1999، صفحة 07، 08)؛ فعندما يلقي المتكلّم جملة ما، ثم يتبعها بجملة أخرى متّصلة بها أو مرتّبة عليها سواءٌ كانت مضادة لها في المعنى، أو مشابهة لها في الشكل النحوي ينشأ عن ذلك ما يعرف بالتوازي.

1.5. توازي الجملة الفعلية:

إن المراد بدراسة توازي الجملة الفعلية؛ هو تتبع مجمل أشكال التماثل بين البنيات النحوية المشكلة لتركيبها من فعل وفاعل ومفعول به وغيرها. وقد عمد الشاعر إلى خلق نوع من التوازي والتماثل اللّغوي بين تراكيب قصيدته ممّا ساهم في إضفاء صبغة التوافق والانسجام على بنيتها التركيبية داخل القصيدة. ومن صور توازي الجملة الفعلية مايلي:

1.1.5. جملة فعلها ماض:

قام الشاعر بتكرار جملة من التراكيب الفعلية في شكل تماثل زمني مبني على الفعل الماضي وذلك نحو قوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 240) [الكامل]:

وَأَتَـيْـتَ يَـا عَلَـمَ النُّـبـوَّةِ صَـادِعًـا بَـالْحَـقِّ تَـأْبَى أَنْ يَـــزِيـغَ قَـوَامُـهَـا

وَأَتَـيْـتَ يَـا نُـورَ الإِلَـهِ مُـبْـصِـرًا أَهْـلَ العِمَـايَـةِ فَاهْـتَـدَتْ أَفْهَـامُـهَـا

نجد أنّ تركيب هذين البيتين ورد متوازيا في شكل تماثل رأسي عمودي تطابقي، بين صدر البيت الأول وصدر البيت الثاني، تجمعهما الوحدة الزمنية (الفعل الماضي)، الذي جاء في شكل توازي تكراري (وأتيت وأتيت)، بالإضافة إلى توازيهما مع بقية البنيات التركيبية كالآتي:

(حرف عطف + فعل ماض + أداة نداء + منادى (مضاف) + مضاف إليه + حال) = (وأتيت يا علم النبوّة صادعا) = (وأتيت يا نور الإله مبصرا).

إذ تُشكل هذه البنيات تماثلا تاما على مستوى صدر البيتين، وقد ربط بينهما بواسطة حرف العطف (الواو). وعمد الشاعر إلى استخدام أسلوب النداء للتعبير

عن جام فرحه بمقدم الرسول وبيان حاله (ص)، إذ أتى مبصرًا بنور الهداية والحق. وقد ساهم هذا التوازي في خلق تلاحم وتآلفٍ صوتي بين بنيات القصيدة.

2.1.5. جملة فعلها مضارع:

لا نجد هذا النمط من التوازي إلاّ في بيتين من القصيدة، في قوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 246) [الكامل]:

نُجـلُّ الإِمَـامَ أَبِي سَعِيـدٍ ذِي النُّهَى وَالـكَفُّ تَـطْمَـعُ بَالْـعَـطَاءِ رِهَامُـهَـا

نُـجِلُّ الرِّضَا يَـعْقُوب ذِي المُلْكِ الّذِي مَلَـكَ البَسِيـطَةَ فَاسْـتَقَـامَ أَثَامُـهَـا

يتشكل توازي هذين البيتين كالآتي:

(نجلّ الإمام أبي سعيد ذي النهى = فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر تقديره "نحن") + عطف بيان + اسم إشارة + بدل).

(نجلّ الرضا يعقوب ذي الملك = فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر تقديره "نحن") + عطف بيان + اسم إشارة + بدل).

مثّلت بنية هذين التركيبين توازيا مقطعيا تطابقيا قوامه تماثل الرتب النحوية في كلا التركيبين، إضافة إلى التطابق التام في الدلالة الزمنية التي يحملها الفعل المضارع (نجلُّ)، الذي تكرّر في البيتين والذي هدف من خلاله الشاعر إلى تأكيد المعنى وترسيخه وتثبيته في نفس المتلقي، ومن جهة أخرى أضفى طابعا من التوازي الموسيقي الناتج عن تكرار نفس الأصوات والصيغ والذي أراد من خلاله أن يعبّر عن قدر ممدوحه في نفسه وعلوّ مقامه بين ملوك عصره.

2.5. توازي الجملة الاسمية:

ومن أنماط التراكيب الإسمية التي وردت متوازية في قصيدة عبد الله بن رضوان، ما يلي:

1.2.5. جملة اسمية خبرها مفرد:

ونجد هذا النمط من التوازي، في قوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 243)[الكامل]:

هُـوَ لِلْـغُـوَاةِ شَتَـاتُهَا، هُوَ لِلْعُفَا..... ةِ حَيَـاتُـهَـا، هُـوَ لِلْـعُدَاةِ سِـهَـامُـهَـا

(مبتدأ + جار وجرور + خبر(مضاف) + مضاف إليه "الهاء") = (هو للغواة شتاتها)= (هو للعفاة حياتها)= (هو للعداة سهامها).

شكلَت هذه التراكيب توازيا أفقيا أحاديا تطابقيا تاما بين بنيات البيت ككل، وفي مختلف الرتب النحوية للمتتاليات، إذ تصدّرت كل جملة من البيت بمبتدأ في صيغة ضمير منفصل (هو)، ثم تلاه شبه الجملة من الجار والمجرور (للغواة، للعفاة، للعداة). وأفاد الشاعر من توظيف حرف الجرّ (اللام) الاستعانة والسببية، والتي عبّر من خلالها عن قوّة ممدوحه وعظمة سلطانه ثم ذكر الخبر الذي جاء مفردًا مؤخرا عن المبتدأ ثم المضاف إليه.

وقد ساهم هذا التوازي التام بين البنيات التركيبية للخطاب، في خلق توافق موسيقي أخّاذ من شأنه أن يزيد من روعة وجمالية اللّغة الشعرية للقصيدة والتأثير في الملتقي.

2.2.5. جملة اسمية خبرها شبه جملة مقدّم:

عمد الشاعر إلى هذا النمط من التوازي، في قوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 243) [الكامل]:

فِي اللَّيْثِ مِنْ وَثَبَاتِهِ وَثَبَاتِهِ شَبَهٌ يُقِرُّ بِفَضْلِهِ ضِرْغَامُهَا

فِي الغَيْثِ مِنْ جَدْوَى يَدَيْهِ مُشَابِهٌ لَوْ لَمْ يَشُقْ سُحُبَ الْحَيَا إِنْجَامُهَا

نجد التوازي بين صدري البيتين في شكل توافق مزدوج تماثلي، كالآتي:

(في اللّيث من وثباته وثباته شبه = جار ومجرور (خبر مقدّم) + جار ومجرور + حرف العطف + اسم معطوف + مبتدأ مؤخر).

(في الغيث من جدوى يديه مشابهٌ = جار ومجرور (خبر مقدّم) + جار ومجرور + مضاف إليه + مبتدأ مؤخر).

تقدّم الخبر على المبتدأ في التركيبين وذلك لكون الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة، وقد أفاد من استخدامه لحرف الجرّ (في)، في الخبر المقدّم المشابهة حيث شبّه ممدوحه في ثباته وعزمه وقوّته باللّيث، وفي كرمه وسخائه بالغيث.

3.2.5. خبر الناسخ جملة اسمية:

النواسخ هي العوامل الفعلية أو الحرفية التي تدخل على الجملة الإسمية، فتغيّر الحكم الإعرابي للمبتدأ والخبر.

ومن التراكيب المنسوخة التي وردت متوازية في قصيدة عبد الله بن رضوان، قوله (ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، 1976، صفحة 244) [الكامل]:

إِنَّ اللَّيَالِي أَنْتُمْ قَوَامُهَا إِنَّ الهَوَاجِرَ أَنْتُمْ صَوَامُهَا

إِنَّ المـعَـارِفَ مِـنْكُمْ إِسْـتِهْـدَاؤُهَـا إِنَّ الـــعَـوَارِفَ مِـــنْكُـمْ إِسْتِتْمَـامُهَـــا

شكّل هذين البيتين توازيا تطابقيا مزدوجا، كالآتي:

(إنّ اللّيالي أنتم قوامها = الناسخ + اسمه + مبتدأ +خبر).

(إنّ الهواجر أنتم صوامها = الناسخ + اسمه + مبتدأ +خبر).

عمد الشاعر إلى تكرار الناسخ "إنّ" التي دخلت على الجملة الاسمية فنصبت المبتدأ وأصبح اسما لها (اللّيالي الهواجرَ)، ثم تأخرّ عنها خبرها الذي جاء جملة إسمية مكوّنة من "مبتدأ" ضمير منفصل (أنتم) وخبر: (أنتم قوامها)، (أنتم صوامها) في البيت الأوّل، في شكل توازٍ أحادي تطابقي بين صدر البيت وعجزه. وفي البيت الثاني جملة إسمية مكوّنة من جار ومجرور (خبر مقدّم)، ومبتدأ مؤخر (منكم استهداؤها)، (منكم استتمامها) كالآتي:(الناسخ + اسمه + شبه جملة خبر مقدّم + مبتدأ مؤخر)=(إن المعارف منكم استهداؤها).

والأمر نفسه في التركيب: (إنّ العوارف منكم استتمامها).

وقد أفاد هذا التوازي في خلق تلاحم وتماسك بين بنيات النص الشعري وذلك من خلال تكرار وحدات نحوية بعينها في نفس الترتيب بين التركيبين والتي أراد الشاعر من خلالها التأكيد على صفات ممدوحه ومنزلته في نفسه وذلك لما يتحلّى به من الورع والتقوى فيصفه بأنه يقوم اللّيالي، ويصوم الأيّام الهواجر الشديدة الحرّ، ويذكر ما يتحلّى به من رجاحة الفكر وسعة الاطلاع فهو يهدي المعارف التي يجهلها غيره، ويتمُّ لهم معارفهم إذا شابها النقص.

6. خاتمة

تأسيسا على ما تقدّم نخلص إلى ما يلي:

_ تكمن جمالية الخطابات داخل القصيدة في كونها تتّخذ من الانزياح آلية فنية لتشكيل تراكيبها، وخلق تنويع وتلوين أسلوبي يتجاوز رتابة الخطابات العادية.

_ يساهم الانزياح التركيبي في خلق لغة خاصة تقوم على تجاوز وخرق قانون الرتبة وبالتالي كسر نمطية البنية العميقة وبعث لغة شعرية قوامها المفارقة للتراكيب النمطية، فاللغة الانزياحية هي لغة ذات طابع خاص، باعتبارها تتّخذ من الانزياح والمفارقة آلية فنية تسعى من خلالها إلى تجاوز القوالب التعبيرية النمطية، والتحرر من التراكيب والمعاني القاموسية الجاهزة التي فقدت رونقها بفعل كثرة التداول، ومحاولة تطويعها وتحويرها في خدمة معان جديدة.

_ تمتاز التراكيب الانزياحية بحيويتها وقدرتها على مفاجأة القارئ وكسر أفق التوقع لديه، من خلال انتهاك سنن القواعد والقوانين اللغوية الوضعية وخرق رتابتها، ولذلك فإن الانزياح هو أهمّ ميزة تقوم عليها والذي يجعلها تتميز بخصوصية التركيب.

_ تميّزت التراكيب اللغوية للقصيدة بتنوّع أنماطها واختلاف هندستها التركيبية، وقامت في مجملها على تجاوز نظام الرتبة، وكسر نمطية التركيب الأصلي للبنية العميقة، فاتّخذت من التقديم والتأخير آلية أسلوبية لجعل أبنيتها أكثر تجديدا وحيوية وتأثيرا، سواء على مستوى التركيب الفعلي، أو الإسمي، أو المتوازي.

_ غلبت على التراكيب الفعلية للقصيدة كثرة الانزياحات على مستوى بنياتها المكوّنة لنسقها اللغوي على محور الادراج والاختيار، والتي أخذت أشكالا عديدة أبرزها تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل، وتقديم المفعول به على الفاعل، وغيرها من الأنماط الانزياحية التي تمّ فيها العدول عن التركيب العميق لمحور الترتيب والتوزيع، والتي ساهمت إلى حدّ بعيد في صناعة شعرية القصيدة وبعث جماليتها.

_ تميزت التراكيب الاسمية للقصيدة بخروجها وعدولها عن التركيب الاصلي لبنية العمق، حيث شملت هذه الانحرافات العديد من الأنماط التركيبية، التي لحقت برتبة المبتدأ والخبر باعتبارهما عمدة المركب الاسمي، والتي أبرزها تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم خبر الناسخ على اسمه، وتقديم الجار والمجرور على الخبر.

_ ساهمت التراكيب اللغوية الانزياحية في صنع شعرية القصيدة وبعث جماليتها، والتي أفاد منها المبدع في نقل العديد من الأغراض البلاغية، وتحقيق الضرورات العروضية لاسيما الوزن والقافية.

7. قائمة المصادروالمراجع

1. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل.(1396هـ-1976م)، نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزمان، تح وتق: محمد رضوان الدّاية، (ط)1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
2. أبو المكارم علي. (2006)، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، (ط1)، القاهرة، مصر، دار غريب للنشر.
3. المنصوري علي جابر.(2002)، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، (ط1)، عمّان، الأردن، دار الثقافة للنشر.
4. تمام حسان. (1994)، اللغة العربية معناها ومبناها، (دط)، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة.
5. حسن الشيخ عبد الواحد. (1999)، البديع والتوازي، (د.ط)، الإسكندرية، مصر، مكتبة الإشعاع الفنية.
6. عبد الحفيظ محمد. (2001)، دراسات في علم الجمال، (ط4)، الاسكندرية، مصر، دار الوفاء.

7. كريب رمضان. (2009)، فلسفة الجمال في النقد الأدبي، (د.ط)، الجزائر العاصمة، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر.
8. مرتاض محمد. (1998)، مفاهيم الجمالية في الشعر القديم، (د.ط)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر.